

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / دراسات شرعية / عقيدة وتوحيد / الإلحاد (تعريف، شبهات، ردود)



فساد زعم ملحد أن الخالق يحتاج إلى الزمان ليخلق الكون

د. ربيع أحمد

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 25/2/2016 ميلادي - 16/5/1437 هجري

الزيارات: 7833



فساد زعم ملحد أن الخالق

يحتاج إلى الزمان ليخلق الكون

تعالى الله عما يقول الظالمون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فقد انتشر في عصرنا مرض الإلحاد، وهو أحد الأمراض الفكرية الفتاكة؛ إذ يفتك بالإيمان، ويُعمي الحواس عن أدلة وجود الخالق الرحمن، وتجد المريض يُجادل في البديهيات، ويجمع بين النقيضين، ويُفرّق بين المتماثلين، ويجعل من الظنّ علماً، ومن العلم جهلاً، ومن الحق باطلاً، ومن الباطل حقاً.

ومن عوامل انتشار هذا المرض: الجهل بالدين، وضعف العقيدة واليقين، والاسترسال في الوسواس الكفرية، والسماع والقراءة لشبهات أهل الإلحاد دون أن يكون لدى الإنسان علم شرعي مؤصل.

وشبهات أهل الإلحاد ما هي إلا أقوال بلا دليل صحيح، وإدعاءات بلا مُستند راجح، ورغم ضعفها وبطلانها إلا أنها قد تؤثر في بعض المسلمين لقلة العلم وازدياد الجهل بالدين، ولذلك كان لا بدّ من كشف شبهات ومغالطات ودعاوى أهل الإلحاد شبهة تلو الأخرى، ومغالطة تلو المغالطة، ودعوى تلو الدعوى، حتى لا يتخدع أحدٌ بكلامهم وشبههم.

ومن المغالطات التي يدّعيها الملاحدة: زعم بعضهم أن الخالق يحتاج إلى الزمان ليخلق الكون؛ يقول صاحب الزعم الباطل: "السبب هو حدث أو فعل يقتضي بتأثيره على حدث أو فعل آخر، لذلك من البديهي أن يكونا - السبب والنتيجة - خاضعين لعلاقة زمنية مترابطة، وعليه؛ فالسبب الأول يشترط الوقت، وبالتالي لا يمكن أن يكون سبباً للزمان أيضاً؛ أي: إذا كان الإله هو السبب الأول، فهو إذاً ليس أعلى سلطة، وإنما تعلوه الضرورة الزمنية، ويصبح "بحاجة" للزمان الذي من جديد يبحث عن علته، فمن يفترض وجود العلة، هو مطالب بالدليل، وهو مطالب بأن يثبت أن السببية تتوقف عنده فقط؛ لأن توقّفها بحد ذاته هو ذلك التناقض بجوهره "أ. هـ.

وكلام المُلحد - هداه الله - يحوي العديد من المغالطات؛ منها: أنه عرّف السبب بأنه حدث أو فعل يقتضي بتأثيره على حدث أو فعل آخر، وهذا لا دليل عليه، والسبب هو ما يترتب عليه مسبب عقلاً أو واقعا؛ فالمقدمات الصادقة سبب صدق النتيجة، وبعض الظواهر الطبيعية سبب ظواهر أخرى، وهذا هو المعنى العلمي السائد اليوم [1]، ويرادف السبب العلة إلا أنها قد تُغيّره، فيراد بالعلة المؤثر، وبالسبب ما يفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه [2].

ومن مغالطاته زعمه أن من البديهي أن يكون السبب والنتيجة خاضعين لعلاقة زمنية مترابطة؛ أي: حصر السببية في الزمن، وهذا لا دليل عليه؛ فالسببية علاقة تربط بين السبب والنتيجة، فحيثما وجدت نتيجة فلا بد أن يكون لها سبب، بغض النظر عن الزمن، ولو قلت: فلان حي (نتيجة)، والدليل: أنه يتكلم (سبب)، فأين عامل الزمن؟ وأين الفاصل الزمني بين السبب والنتيجة هنا؟ ولو قلت: أمطرت السماء (نتيجة)، والدليل أن الأرض مبتلة بالماء (سبب)، فأين عامل الزمن؟ وأين الفاصل الزمني بين السبب والنتيجة هنا؟ ولو قلت: فلان مسلم (نتيجة)، والدليل أني رأيت يصلي صلاة المسلمين (سبب)، فأين عامل الزمن؟ وأين الفاصل الزمني بين السبب والنتيجة هنا؟

ومن مغالطاته دعواه أن السبب الأول - يقصد الخالق - يشترط الوقت؛ أي: يحتاج إلى وقت، وهذه دعوى بغير علم وبغير دليل، وتُخالف المستقر في الفطر السليمة أن الخالق له الكمال المطلق من كل الوجوه.

وكيف علم الملحد أن الخالق يحتاج إلى الوقت؟ هل على علم بكيفية ذات الخالق؟ أو على علم بنظير الله فقااسه عليه؟ أو على علم بخبر صادق عن الله فيه هذا الكلام؟ ومن المعلوم أن لا أحد على علم بكيفية ذات الله، ولا أحد على علم بنظير مساو لله، بل لا يوجد نظير لله أصلاً، ولا أحد على علم بخبر صادق عن الله فيه بيان لكيفية أفعاله، وبالتالي دعوى أن الخالق يحتاج لوقت ليفعل شيئاً من الأشياء دعوى باطلة لاشتمالها على تكيف أفعال الله عز وجل، وتكيف أفعال الله لا سبيل لنا للعلم بها بأي حال من الأحوال.

وكيف يزعم الملحد أن الخالق عز وجل يحتاج إلى زمن ليخلق الكون، والله عز وجل لا يحتاج إلى شيء؛ فهو القيوم القائم بنفسه، المقيم لغيره، الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه، مُفْتَقِر إليه؟!

والإنسان منا يحتاج لبعض الوقت؛ كي يُنجز فعل شيء من الأشياء، لكن الخالق عز وجل إذا أراد فعل شيء فإنه يفعله وفق ما أراد في الوقت الذي أراد، ولا يتأخر ذلك الشيء أبداً عن الوقت الذي أراد الله، ولا يتقدم أبداً عن الوقت الذي أراد الله، وهذا دليل القدرة التامة له سبحانه.

وليس معنى أن الخالق عز وجل يفعل شيئاً من الأشياء في زمن معين أنه محتاج لهذا الزمن؛ كي يفعل هذا الشيء، فالاحتياج والافتقار إلى الغير من صفات المخلوقات ممكنة الوجود، وهو محال في حق الخالق واجب الوجود بذاته.

والموجود إما أن يكون موجوداً بذاته مستغنياً بنفسه عن غيره، وموجوداً بغيره مُفْتَقِراً لغيره لإيجاده، والكون الذي نعيش فيه لم يكن موجوداً ثم وجد، فهو محدث مُفْتَقِر إلى من يُحدثه، مُمكن الوجود، يحتاج إلى من يُرَجِّح وجوده على عدم وجوده، وهذا المرجح لا بد أن يكون واجب الوجود بذاته، وإلا لزم التسلسل في الفاعلين، والتسلسل في الفاعلين باطل، فتعين وجود خالق للكون واجب الوجود بذاته.

والموجود إما أن يكون قديماً ليس لوجوده بداية، وإما أن يكون محدثاً لوجوده بداية، والمحدث يحتاج إلى من يُحدثه، ويُفْتَقِر إلى من يُحدثه، والكون الذي نعيش فيه لم يكن موجوداً ثم وجد، فهو محدث مُفْتَقِر إلى من يُحدثه، والذي يُحدث الكون لا بد أن يكون قديماً ليس لوجوده بداية، وإلا لزم التسلسل في الفاعلين، والتسلسل في الفاعلين باطل، فتعين وجود خالق للكون قديم، ليس لوجوده بداية، ومن هنا ندرك أن الحاجة والافتقار من صفات المخلوقات لا رب المخلوقات.

وعند أهل العقول السليمة والفطر السليمة لا تُقاس أفعال الخالق الموجود بذاته المُستغني بنفسه عن غيره على أفعال المخلوقين المحتاجين المُفْتَقِرِينَ إلى غيرهم قياساً تمثيلاً.

والمُلحد - هداه الله - قاس أفعال الخالق على أفعال المخلوقين قياساً تمثيلاً، وكأنه يريد أن يقول: ما دُمنّا نحن البشر تحدث أفعالنا في زمن ونحتاج لهذا الزمن كي نفعل أي فعل، فكذلك الخالق، وهذا غير مسلم، ولو أبعد المُلحد التمثيل وأثبت ما يختص به الخالق من صفات وأفعال لما أوردَ هذه الشبهة؛ إذ لا يصح قياس أفعال وصفات الخالق على أفعال وصفات المخلوق قياساً تمثيلاً للتباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات؛ لأنَّ صفة كل موصوف تليق به، فالمعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تُضاف إليه [3].

3/4

[1] المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بمصر (ص: 96).

[2] المعجم الفلسفي؛ لجميل صليبا (2 / 96).

[3] تقريب التدميرية؛ لابن عثيمين (ص: 22).

[4] تقريب التدميرية؛ لابن عثيمين (ص: 23).

[5] حقيقة المثل الأعلى وآثاره؛ لعيسى الغامدي (ص: 40).

حقوق النشر محفوظة © 1445 هـ / 2023 م لموقع [الألوكة](#)
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 27/4/1445 هـ - الساعة: 14:40